جامعـة الأزهـــر
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبـــات بسوهاج

تأملات في سورة السجدة

دكتور / أحمـد محمـد عـلى
مدرس التفسير وعلوم القـرآن
بكليـة الدراسات الاسلامية
بســوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين • والصلاة والسلام على من نزل عليه جبريل الأمين بالقرآن اكريم بلسان عربى مبين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الظاهرين •

وبعد : ـ

فهذه تأملات فى سورة السجدة تقف بالقارىء الكريم على مافى هذه السورة الكريمة من معان عظيمة أودعها الله تعالى فى ألفاظها ومبانيها بعد أن تحلق به فى جو السورة العام ليكون على دراية بالسياق ومعرفة بالانطباق والأتساق الذى نظمت عليه السورة المباركة • وهذا يتطلب أولا معرفة اسم السورة ثم مكان نزولها وزمانه ثم مناسبتها لما قبلها فى الترتيب النزولى ثم الأغراض والأهداف العامة للسورة ثم ذكر فضلها ومنزلتها بين سور القرآن الكريم • ويتطلب ثانيا الوقوف على معانى الألفاظ فى افرادها وتركيبها ثم بيان ما يستنبط منها من عبر وعظات تبين أن القرآن بحق كتاب هداية الى صراط الله المستقيم ، ولما كان الأمر كذلك رتبت هذا البحث الموجز على مقدمة تتضمن المعلومات العامة عن السورة ثم عرض لآيات السورة يبدأ بذكر الآيات ثم بيان معانى المفردات ثم ذكر المعنى العام وتعقيب بما يستنبط من الآيات من أحكام وعبر وعظات ثم خاتمة تتضمن بعض النتائج التى ركزت عليها السورة

الكريمة وقد سلكت فى سورة السجدة هذه مسلكا وسطا يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول مستعينا بالله تعالى فى كل ما آتى وما أذر ثم بكتابه الكريم وبعض تفاسيره ثم بسنة الرسول الأمين ﷺ ثم ببعض الكتب التى لها صلة بالبحث .

والله أرجو التوفيق لما يحبه ويرضاه ..

أولا : المقدمة

ان الباحث فى هذه السورة الكريمة وفى غيرها من سور القرآن الكريم ينبغى عليه أن يعرف شيئا عن المعلومات العامة المتصلة بها من اسمها وفضلها ونزولها وغير ذلك لذلك بدأت البحث ببيان هذه المعلومات وهى :

١ ــ اسم السورة :

هذه السورة تسمى سورة السجدة وتسمى سورة المضاجع أما تسميتها بالسجدة منظرا لقوله تعالى : « .. خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم .. الآية » . وأما تسويتها سورة المضاجع ونظرا لقوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. الآية » .

٢ ــ عدد آياتها :

وعدد آيات هذه السورة هو تسع وعشرون آية عند البصريين . وثلاثون عند الباقين .

(بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ج ١ ص٣٧٣)

أقـول والسـر فى معـرفة العـدد هـو الحفـاظ على القرآن الكـريم من الزيـادة عليـه أو النقص منـه ، والله أعـلم •

٣ ــ مكان وزمان نزول السـورة :

السورة مكيـة الا ثلاث آيات نزلت بالمدينـة وهى قوله تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كـان فاسقا •• » الآيات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ • قـاله الكلبى ومقاتل وقـال غيرهما الا خمس آيات من قوله تعالى : « تتجـافى جنوبهم الى قـوله الذى كنتـم بـه تكذبون •• » الآية ١٦ : ٢٠ • (تفسير القرطبى ج ٧ جزء ١٤ ص٥٧)

ومعنى هـذا أن السورة نزلت بمكـة وقبـل الهجـرة الا ما نزل بالمدينة منهـا فقـد نزل بالمدينـة وكـان بعـد الهجـرة •

٤ ــ مناسبتها لمـا قبلها :

فى المصحف الأمام نزلت سورة السجدة بعـد سورة المؤمن وهى سورة غافـر ، والمناسبة بينهمـا من أوجـه متعددة هى :

١ ــ أن كـلا من السورتين بدأت بحروف من الحروف المعجمـة وذكـر القـرآن فبدأت غافـر بقوله تعـالى : « حـم تنزيل الكتاب من الله العـزيز العـليم » • وكـذلك بدأت سورة السجدة بقـوله تعـالى : « الـم تنزيل اكتـاب لا ريب فيـه من رب العالمين » • فناسبت البداية البداية •

٢ ــ أن كـلا من السورتين اهتمت بالحديث عن قضيتى الأيمان والكفـر ومصـير كـل من المؤمنين والكافرين مع ذكـر لوصف كـل من الفريقين •

٣ — التركيز على قضية التوحيد واثبات البعث فى كل من السورتين •

٤ — الاتفاق التام فى الخاتمة فقد ختمت سورة المؤمن بقوله تعالى وخسر هنالك الكافرون • وختمت سورة السجدة بتهديد الكافرين وانذارهم بالعاقبة الوخيمة والخسران المبين وذلك اذ يقول الله تعالى : « قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون » •

بهذا يتبين أن السورتين متناسبتان تمام المناسبة وسيتضح ذلك جليا عند العرض ان شاء الله تعالى •

٥ — الأهداف العامة للسورة :

تهدف سورة السجدة الى بيان الاهتمام بالقرآن الكريم ثم الى اعلان قدرة الله فى خلقه وبيان استحقاقه العبودية وحده لا شريك له ، ثم اثبات قضية البعث عن طريق دلائل القدرة فى الخلق والكون • وبيان مآل الناس من مؤمن موفق يدخل الجنة ويحوز رضا ربه • وكافر فاسق يكب على وجهه فى النار ويغضب عليه الواحد القهار ••

٦ — أساليب السورة :

اختلفت القضايا التى تناولتها السورة وتعددت فاقتضى هذا حسب القضايا التى اهتمت السورة بها فكانت كالآتى :

فى قضـية القـرآن الكريم استخدمت أسلوب الخبـر وأسلوب الاستفهام وأسلوب التمنى والرجـاء المحقق •

وفى قضـية التوحيد ذكـرت الكثـير من الأدلـة والبراهين التى تثبت قـدرة الله تعـالى فتثمـر الاعتراف بوحدانية الله عـز وجـل من المؤمنين •

وفى قضـية البعث وما يحـدث بعـده ذكـرت الكثير من أدلـة القـدرة الموجودة فى الخـلق والـكون كأسلوب للاقناع بامكان البعث والجـزاء مع شىء من الاستفهام التقريرى والانكارى •

أمـا فى قضـية الحساب فاستخدمت أسلوب الترغيب ثم أسلوب الترهيب والتخـويف ليختـار كـل واحـد من النـاس ما يحـلو لـه فيكون جـديرا بالثـواب ان أمـن وحقيقا بالعقـاب والعـذاب ان كفـر ، وفقنـا الله للايمان بـه •

٧ ــ فضـل السـورة :

لهـذه السورة فضـل عظيـم ومـيزة كبـرى وذلك يتجـلى لنـا بحـرص النبى ﷺ على قراءتها فى صـلاة الصـبح كثيرا كمـا روى عن ابن عبـاس أن النبى ﷺ كـان يقـرأ فى صـلاة الفجـر يـوم الجمعـة : الـم تنـزيل (السجدة) ، وهـل أتى على الانسان حين من الدهـر • وخـرج الدارمى أبـو محمـد فى مسـنده عن جـابر بن عبد الله قـال : كـان النبى ﷺ لا ينـام حتى يقـرأ • الـم تنزيل (السجدة) وتبـارك الذى بيـده المـلك •

(تفسير القرطبى ج ٩ جزء ١٤ ص٥٧)

أقـول وحـرص النبى ﷺ على قـراءة السورة يدل دلالة ظاهرة على فضلها ومنزلتها بين سـور القـرآن الكريم ، والله أعـلم •

وبعـــد : —

فهـذه هى الأمـور العـامة التى ينبغى أن يعرفها الباحث عن هـذه السورة الكريمة • والآن أبـدأ فى عـرض السورة ومن الله أسـتمد العـون والتوفيق ••

ثانيـا : العـــرض والبيـــان

فى هـذا المقصـد أعنى « العـرض والبيـان » أقسم السـورة حسـب الأغراض والقضـايا التى اهتمت السورة بهـا واضـعا لكل مجمـوعة من الآيات عنوانا يناسبها ثـم ذكـر الآيات مرقمة بأرقامها فى المصحف ثم أذكـر معـانى المفردات بشىء من العمـق والتفصيل مستعينا بكتب اللغـة والتفسـير ، ثـم أذكـر المعنى العـام للآيات وما يستنبط منهـا من أحكام مستعينا فى ذلك بكتب الفقـه والأحكام وأيضـا ذكـر ما فى الآيات من عبـر وعظـات • وقـد تجنبت التكلف فى الأسلوب ثـم الاعـراب نظـرا لمـا فيـه من ثقـل على أذهـان العـامة خصوصا وأن البحـث سينشر فى مجـلة يقرؤها كل النـاس بمختلف مستوياتهم ولعـلى أوفق لمـا وعـدت والله حسـبى ونعـم الوكيـل ••

حـديث اللـه عن القـرآن

يقـول الله تعـالى : « **الـم (١) تنزيل الكتـاب لا ريب فيـه من رب العـالمين (٢) أم يقولون افتراه بـل هـو الحـق من ربـك**

لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣) » .

أولا : معانى المفردات :

الم اختلف العلماء فى مثل هذا الحرف هل له معنى أم لا ؟ فمنهم من فوض العلم فى معرفته الى الله تعالى . وهؤلاء هم السلف وقد سلك طريقهم السيوطى رحمه الله تعالى فقال فيه وفى أمثاله الله أعلم بمراده بذلك وهذا ما أميل اليه واطمئن منهم من ذكر لها معنى وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم فقال البعض انها من أسماء الله تعالى . وقال البعض انها أسماء للسور . وقال البعض انها قسم أقسم الله عز وجل به .. الى غير ذلك من أقوال مظنونة لا تعتمد على عقل ولا على نقل صحيح عن المعصوم ﷺ . ويعجبنى فى هذا قول البيضاوى رحمه الله تعالى « ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التى تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه . وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق بأسماء الحروف مختص عن خط ودرس . فأما من الأمى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة .. » .

(حاشية الشهاب على البيضاوى ج ١ ص١٥٩ : ١٦١ هامش)

لا ريب لاشك . الريب . والريبة . والارتياب كلها مادة

الشـــك • قـــال السيوطى لاريب • لاشـــك • وقال الله تعالى : « أفى قلوبهم زيـــغ أم ارتابـــوا » يفى شـــكوا •

(تفسير الجلالين ج ١ ص ٢)

رب الـــرب المـــربى والخالق سبحانه وتعـــالى • ويطلق لفظ الرب على الأب المـــربى كمـــا يطلق على الســـيد المطاع ، قال يوسف لصاحبه فى الســـجن « اذكرنى عند ربك » وقـــال • انـــه ربى أحسن مثـــواى • وجـــاء فى المصباح المنـــير « وقـــد استعمل بمعنى السيد مضـــافا الى العـــاقل أيضـــا ومنـــه قـــوله عليه السلام « حتى تلد الأمـــة ربتهـــا » •

(المصباح المنـــير ص٢١٤)

فالله رب العالمين وخالقهم وسيدهم المطـــاع الذى لـــه حق الأمر والنهى عليهـــم •

العـــالمين جمـــع عـــالم والعـــالم ما ســـوى الله تعـــالى من مخلوقات ، قـــال ابن جـــزى « الأرجـــح فى العالمين أن يـــراد بـــه كـــل موجـــود ســـوى الله تعالى فيعـــم جميـــع المخلوقات •

(التسهيل لابن جـــزى ج ١ ص٣٣)

أم حـــرف من حـــروف العطف لـــه معانى متعددة ، قـــال فيهـــا السيوطى أم حـــرف عطف وهى نوعان متصـــلة وهى قسمان : الأول أن يتقـــدم عليهـــا همـــزة التسوية (ســـواء عليهم أأنذرتهـــم أم لـــم تنذرهم • والثـــانى أن يتقـــدم عليهـــا همـــز يطلب بهـــا وبأم التعيين نحـــو الذكرين حـــرم أم الأنثيين وسميت فى القسمين متصلة

لأن ما قبلهـا وما بعدهـا لا يستغنى أحدهما عن الآخـر وتسـمى معـادلة لمعادلتها للهمـز فى افـادة التسـوية فى القسـم الأول • والاستفهام فى القسم الثانى • والقسم الثـانى منقطعة نحـو « تنزيل الكتـاب لاريب فيـه من رب العالمين أم يقولون افتـراه » •

(الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ١ ص١٥٣)

افتـراه الافتراء معنـاه الكذب والاختلاف ، قـال ابن عباس يقـول كفـار مكـة (افتـراه) اختلق محمد القـرآن من تلقـاء نفسـه فـأتى بـه • (تنوير المقباس ص١٨٢)

بـل حـرف عطف ومعنـاه الاضراب ؛ قـال ابن مـالك • واتبعث لفظـا فحسب بـل ولا • لكن كـلم يبـدو أمـرؤ لكن طـلا ثم مثـل لهـا بمثال فقـال ما قـام زيـد بـل عمـرو •

(شرح ابن عقيـل ص٣٣٦)

وهى هنـا للأحزاب عن قولهـم افتـراه والمعنى أنـه غـير مفتـرى من عند محمد أو غـيره •

الحـق الأمـر الثـابت الذى لا يتغـير فالله هـو الحـق وهـو يحيى المـوتى • والحـق ما يقـابل الباطل ، قـال الله تعالى ليحـق الحـق ويبطـل البـاطل ولـو كـره المجرمون » •

وفى البصـائر « أصـل الحـق المطابقة والموافقة كمطابقة رجل البـاب فى حقـه لدورانه على الاستقامة » •

(بصائر ذوى التمييز ج ٢ ص٤٨٥)

لتنـذر الانذار التخويف والتهديد ، قال البيضاوى « والانذار التخويف من عـذاب الله تعـالى وانمـا اقتصر عليه لأنـه أوقـع فى القلب وأشـد تأثـيرا فى النفس » .

(حاشية الشهاب الخفاجى ج ١ ص٢٧٣ هامش)

قومـا القـوم هـم من ينسب اليهـم الشخص وقـد جاء فى التنزيل انـا أرسلنا قومـا الى قومـه ، اذ قـال لقومه الا تتقون ، يا قـوم اعبدوا الله . فكـل ذلك يـدل على أن القـوم هـم أهله وعشيرته الذين ينسـب اليهـم ويعيش فيهـم وفى المصباح المنـير « القـوم جمـاعة الرجال ليس فيهـم امـرأة » .

(المصباح المنـير ص٥٢٠)

يهتـدون الهـداية التوفيق والارشـاد والهدى العـلم وضده الضـلال ، قـال الله تعـالى « ووجدك ضـالا فهدى » وفى العمـدة « هـدى أى بيـان » . (العمدة فى غريب القرآن ص٦٩)

ثانيـا : المعنى العـام :

افتتـح الله تعـالى هـذه السورة بقوله « الـم » ليكون هـذا الحـرف ضمن الحـروف التى تقـرع أسماع السامعين من العـرب انخلص وكأنهـا تقـول بلسان الحـال والمقـام ان القـرآن قـد نكـون من أمثالنا من الحـروف التى هى من جنس كلامكم فـان كانت لـكم القـدرة على الاتيـان بمثـله فأتـوا بـه أو بشىء منـه . فـاذا عجزتم عن الاتيـان بالمطلوب فقـد أقيمت عليكم الحجـة وثبت صـدق الرسول ﷺ فى أن القـرآن (تنزيل) من حكيم حميـد . وهو

تنزيل لاريب أنه من مصدر واحد هو رب العالمين وأنه ليس مفترى من عند محمد ولا غيره فان قالوا بلسان الكذب والبهتان (افتراه) فقل لهم « بل هو الحق » الصادق الثابت « من ربك » الذى أرسلك لتنذر به هؤلاء القوم الذين هم أهلك وعشيرتك الذين اليهم تنسب وفيهم كبرت ودرجت ولم يأتهم قبلك رسول ينذرهم أو نبى يخوفهم • استمر فى انذارك وتخويفك لهم لعلهم يهتدون اليه ويسترشدون به فيكونوا من المهتدين الى صراط الله المستقيم •

ثالثا : ما يستنبط من الآيات :

١ — أن القرآن جاء بلسان عربى مبين لأنه تركب من تلك الحروف التى ينطق بها العرب وهى أصل لغتهم •

٢ — كذب المشركين فى قولهم أن الرسول ﷺ احتذى القرآن من عنده •

٣ — أن القرآن كلام الله تعالى ومعجزة رسول الله ﷺ التى دلت على صدقه فى رسالته والتى أعجزت العرب والناس جميعا وألحن عن الاتيان بمثلها •

٤ — أن مهمة الرسول ﷺ هى الانذار والتبشير والتبليغ للمرسل اليهم وأن القرآن كتاب هداية وبيان كما قال الله تعالى « هدى للناس وبينات من الهدى والرقان » •

« وحدانيـــة الله تعـــالى »

بعـــد أن تحدثت الآيات السابقة عن القـــرآن الكريم معجـــزة رســـول الله ﷺ المنـــزل من الله تعالى كـــأن ســـائلا ســـأل من هـــو الله الذى أنزل القـــرآن على محمد فجاءت هـــذه الآيات ليتجلى لنـــا صفات الله الكبـــير الخالق العظيم الذى أرســـل محمـــد واخـــوانه بالبينـــات والزبـــر والكتـــاب المبين . فقـــال تعالى شـــأنه وعـــزت كلمـــاته « **الله الذى خـــلق السموات والأرض وما بينهمـــا فى ســـتة أيـــام ثم استوى على العرش مالكم من دونـــه من ولى ولا شـــفيع أفـــلا تتذكرون (٤) يديـــر الأمـــر من السماء الى الأرض ثم يعـــرج اليـــه فى يـــوم كان مقـــداره ألف ســـنة ممـــا تعـــدون (٥) ذلك عالم الغيب والشهادة العـــزيز الرحيـــم (٦) الذى أحسن كـــل شىء خلقـــه وبـــدأ خـــلق الانسان من طيـــن (٧) ثم جعـــل نسله من سلالة من مـــاء مهيـــن (٨) ثـــم ســـواه ونفـــخ فيـــه من روحـــه وجعل لـــكم الســـمع والأبصـــار والأفئـــدة قليـــلا ما تشكرون (٩)** » .

أولا : معـــانى المفـــردات :

اللـــه عـــلم على الذات العليـــة التى لا تماثلها ذات « ليس كمثله شىء وهـــو السميع البصـــير » ، قـــال الفخر الرازى « المختار عندنا أن هـــذا اللفظ اســـم عـــلم لله تعـــالى وأنـــه ليس بمشـــتق البتـــة وهـــو قـــول الخليـــل وسيبويه ، وقـــول أكثـــر الأصوليين والفقهـــاء » . (مفاتيح الغيب ج ١ ص١٥٦)

خلق الخلق الانشاء من عدم ويكون بمعنى التصوير كما فى قوله تعالى : « فتبارك الله حسن الخالقين » وفى البصائر ، وهو التقدير وقيل التقدير المستقيم ويستعمل فى ابداع الشىء من غير أصل ولا احتذاء » .

(بصائر ذوى التمييز ج ٢ ص٥٦٦)

استوى الاستواء الاعتدال والاستقامة ، نقول شىء مستو أى معتدل . واستوى شبابه كمل وتم وهو هنا بمعنى القصر الى الشىء ، يقول الرازى « وتقريره (يقصد تأويل الاستواء) أن الاستواء هو الاستقامة ، يقال استوى العود اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلتفت الى شىء آخر ومنه استعير قوله « ثم استوى الى السماء » أى خلق بعد الأرض السماء ولم يجعل بينهما زمانا ولم يقصد شيئا آخر بعد خلقه الأرض .

(مفاتيح الغيب للرازى ج ١ ص١٥٥)

العرش السرير الذى يجلس عليه والعرش السقف والملك قال تعالى « وهى خاوية على عروشها » أى سقوفها ، وقال « الرحمن على العرش استوى » أى ملك الملك وفى لسان العرب « العرش سرير الملك يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ .. والعرش البيت وفى الحديث كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ وأنا على عرش « قال وعرش البار لا يحد » أى لا يوصف لأنه غيب عنا فنتوقف فيه . (لسان العرب ج ٤ ص٢٨٨٠ وما بعدها)

وقد تكلم علماء الكلام فى هذه المسألة فقال الشيخ سيد سابق : وروى البخارى والبيهقى عن عمران بن الحصين قال انى عند النبى ﷺ اذ جاءه قوم من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا بشرتنا فاعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا • جئنا لنتفق فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال كان الله ولم يكن شىء قبله وكان عرشه على الماء • ثم خلق السموات والأرض وكتب فى الذكر كل شىء ، ثم شرح الأستاذ سيد سابق الحديث فقال ضمن ما قال •• ومعنى قوله وكان عرشه على الماء أن العرش فى جهة العلو والماء تحته فى جهة السفل وليس معناه أنه ملاصق للماء محمول عليه كما يقال السماء على الأرض أى أنها فوقها دون ملاصقتها بها •ويظهر من الأحاديث أن العرش هو أول المخلوقات العلوية وأن الماء هو أول المخلوقات المادية • وأنه خلق قبل العرش كما رواه أحمد والترمذى •

(العقائد الاسلامية ص٥٤)

وقد لخص المسألة الفخر الرازى فقال « اعلم أن مذهب العلماء فى هذه الآية وأمثالها على وجهين :

أحدهما : ترك التعرض الى بيان المراد •

وثانيهما : التعرض اليه •

والأول أسلم والى الحكمة أقرب ••

(مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص١٦٨)

أقـول وعـدم التعرض للبيـان هـو الأولى والأسلم والاعلم لان هـذا غيب والكلام فيـه مركب صعب يخشى منـه الزلل والوقوع فى الشرك ويكفى الايمـان بأن لله سبحانه وتعـالى عرشـا عظيمـا والله أعـلم بـه •

ولـى الـولى هـو النصـير والمعين وهـو مشتق من ولـى بمعنى تابـع ومنـه سمى الـولى لمتابعته الطاعات وجـاء فى البصائر ما فيـد ذلك ، قـال الفيروز آبـادى « والولاء والتوالى أن يحصل شـيئان فصاعدا حصـولا ليس بينهمـا ما ليس منهمـا ويستعار ذلك للقـرب من حيث المـكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث النصـره والصداقة والاعتقـاد » •

(بصائر ذوى التمييز ج ٥ ص٢٨١)

شـفيع اسـم على وزن فعيـل يكـون بمعنى شافع ومشفوع لـه والمعنى يس لهـم من يشفع لهـم والشفاعة معناهـا النصـرة والدفـاع وقـد سمعت من الشـيخ الشعراوى « أنهـا طلب الخـير من الغـير للغـير » هـو فى نظـرى أعظـم تعـريف للشفاعة ينطبق على شفاعة الرسول ﷺ لأمتـه ، وقـد تعـرض لتعريفها القرطبى فقـال الشفاعة مأخـوذة من الشفع وهمـا الاثنـان •• ثـم قـال فالشفاعة اذا ضـم غيرك الى جـاهك ووسيلتك فـهى على التحقيق اظهـار لمنـزلة اشفيع عند المشـفع وايصـال منفعة للمشفوع •

(الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص٢٥٧)

تتذكـرون الذكـر ضـد النسيان ويطـلق على ذكـر اللـه تعـالى والتقـرب اليـه بالتسبيح والتحميـد والتكبير وقراءة القرآن

الكـريم ويستخدم فى الألفـاظ والاعتبـار وبذلك جـاء التنـزيل « واذكـر ربك اذا نسيت » ، « واذكـروا الله فى أيـام معـدودات » « ان فى ذلك لذكـرى لمـن كان لـه قـلب » أو موعظـة واعتبـار وفى الجلالين « تتذكـرون » هـذا فتؤمنون •

(الجـلالين ج ٢ ص١٠٠)

يدبـر التدبير والتدبر التعقـل والتروى ومعنى يدبر الأمـر يصرفـه على أحسـن ألـوان التصرف وعلى حسـب ما تقتضـيه الحكمـة ، وجـاء فى القـرآن « أفـلم يدبروا الأمـر » يعنى يتعقلوه ويفهمـوه •

وفى المصـباح « دبـرت » الأمـر « تدبـيرا » فعلته عن مكـر ورويـة ، « وتدبرته » « تدبـرا » نظـرت فى دبـره وهـو عاقبته وآخـره » • (المصباح المنـير ص٧١٩)

يعـرج العـروج الصعود من السـفل الى العـلو درجة بعـد درجـة وهـو هنـا بمعنى ارتفـاع الأعمـال اليـه ، كمـا قـال تعـالى : « اليـه يصعد الكلم الطيب والعمـل الصالح يرفعـه » ، قـال البيضاوى « ثم يعـرج اليـه » ثم يصعد اليـه ويثبت فى علمه موجـودا • (البيضاوى ج ٧ ص١٤٨ ، هامش حاشية الشهاب)

مقـداره المقـدار الـكم عـددا كـان أم وزنـا والتقـدير والقـدر المنزلة والمعـرفة بالعـدد أو الوزن وليـلة القـدر ليـلة الشـرف والمنزلة ، قـال الشيخ المـراغى « فى يوم كـان مقـداره ألف سـنة ممـا تعـدون » أى يدبـر الأمـر فى الدنيـا الى أن

نفوم الساعة ثم يصير الأمر كله اليه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما كنا نعده فى هذه الحياة ، والمراد بالألف الزمن المتطاول وليس المقصد منه حقيقة العدد اذ هو عند العرب منتهى المراتب العددية وأقصى غاياتها ..

(تفسير المراغى ج ٢١ ص١٠٥)

الغيب كل ما غاب عن الانسان وضده الشهادة وهى كل ما يشاهد بالعين أو يعرف بأحد الحواس والغيب لا يعلمه الا الله تعالى أو بعض رسله باطلاع الله فهم عليه . كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتقى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا .

(سورة الجن الآية الأخيرة)

العزيز القوى الذى لا يغلب وهو اسم فاعل من عز بمعنى قوى وامتنع وشىء عزيز نادر وبعيد عن الناس والمعز واهب العزة لرسوله وللمؤمنين « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » .

(سورة فاطر آية ١٠)

الرحيم اسم من الرحمة وهى العطف والبر بمن يستحق الرحمة من ولد أو غيره ، قال ابن جزى الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الاحسان فهما صفة فعل وقيل ارادة الاحسان فهى صفة ذات .

(التسهيل لابن جزى ج ١ ص٣١)

أحســـن افعـــل تفضيل وهى هنـــا فعـــل مـــاض ومفعولها كل وسعنى أحســـن جمـــل وزين والتحسين التجميل ، قـــال تعالى « لقـــد خلقنا الانسان فى أحســـن تقويم » قال القرطبى والمعنى على ما روى عن ابن عبـــاس أحكم كـــل شىء خلقـــه أى جـــاد بـــه على ما أراد ونـــم يتغـــير عن ارادتـــه •

(الجامع لأحكام القرآن ج ٧ جـــزء ١٤ ص٦٠)

الانســـان لفـــظ يطلق ويـــراد بـــه الجنس البشرى من أول آدم عليـــه السلام الى آخـــر فـــرد يوجـــد فى ذريته وسمى الانسان انســـانا لأنـــه يأنس بغـــير • أو لأنـــه ينسى • قـــال الشـــاعر :

•• وسميت انســـانا لأنـــك تنـــسى ••

(البصائر ج ١ ص٣٢)

نســـله النســـل والتناسل التكاثر من أى شىء ونسل الانسان ذريتـــه وكـــذلك أى شىء يتكاثر • قـــال ابن جـــزى « نســـله يعنى دريتـــه » • (التسهيل ج ٣ ص١٣٠)

ســـلالة السلالة ما يســـل ويستخرج من غـــيره ، قال الشهاب الخفـــاجى والسلالة الخلاصة وأصلها ما يســـل ويخلص بالتصفية •

(حاشية الشهاب على البيضاوى ج ٧ ص١٤٩)

مهيـــن من الاهـــانة والذل أى شىء ممتهن محتقـــر لا قيمـــة لـــه • قـــال الشهيد ســـيد قطب • ثـــم جعـــل نســـله من سلالة من

مـاء مهيـن » من مـاء النطفة الذى هـو المرحلة الأولى فى تطـور الجنيـن . (فى ظـلال القرآن ج ٥ ص٢٨١٠)

سـواه التسوية التعـديل والاستقامة ، قـال تعالى « فـاذا سويته ونفخت فيـه من روحى » أى كملت خلقته وجعلته مستويا . وفى مفـاتيح الغيب ثـم سـواه أى كـان طينـا فجعـله منيـا ثم جعـله بشـرا سـويا .

(مفاتيح الغيب ج ١٣ جـزء ٢٥ ص١٧٤)

نفـخ النفـخ النس الخـارج المسمى بالزفـير ، قال تعـالى « ونفـخ فى الصـور فصعق من فى السموات والأرض الا من شـاء اللـه » ومعنى النفـخ فى الآيـة أن الله تعـالى ركب فيـه الروح لأنهـا من فعـله فى خلقـه ، قـال القرطبى وعبـر عنـه بالنفـخ لأن الروح فى جنس الريـح » .

(الجامع لأحكام القرآن ج ٧ جـزء ١٤ ص٦١)

نشـكرون الشـكر الاعتراف بالجميل للمنعـم سبحانه ، قال تعـالى « أن اشـكر لى ولوالديك الى المصـير » وأيضـا لـكل من أسـدى جميـلا من النـاس ، وفى الحـديث « من أسدى اليـكم معروفـا تكافئوه فـان لـم تكافئوه فادعـوا الله لـه » والمعنى شكر المعروف بالثنـاء على صاحبه وحبـه .

(الحديث فى الجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص١٦٣)

ثانيا : المعنى العام للآيات :

فهذه الآيات الكريمات يبين تعالت صفاته وعظمت ذاته أنه سبحانه هو الذى خلق السموات السبع والأرض وأنشأهما من العدم المحض على جانب من الابداع والاختراع وعلى جانب من كبر الحجم والاتساع والامتداد ، وقد عبر عن ذلك فى قوله تعالى « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (سورة غافر آية ٥٧) ، ثم خلق ما بينهما من مخلوقات من انس وجن وطير وغير ذلك مما نشاهده ومما لا نشاهده كل ذلك فى ستة أيام ثم استوى سبحانه على عرشه فى جلال وبهاء وعزة وكبرياء يعز من يشاء ويذل من يشاء ، يعطى ويمنع ويحيى ويميت لا اله غيره ولا متصرف فى ملكه سواه ، ليس للعباد ولى الا هو ولا شفيع عنده لهم الا باذنه وعليه فلا يصح أن ينساه العبد بل يجب أن يكون على ذكر به على الدوام « أفلا تذكرون » هذا الآلاه الخلق العظيم هو الذى خلق خلقه وهو الذى يدبر الأمر أمر الخلائق فى سمواته وأرضه وما بينهما ويحكمه احكاما تاما على وفق ارادته وحكمته فى الدنيا ثم يعرج الأمر اليه ويرفع فى الآخرة فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » ذلك المتصرف هو المدبر الله عالم الغيب والشهادة الذى لا يغرب عن علمه شىء ولا يغيب عنه قليل ولا كثير هو الله العزيز الذى لا يغلبه غالب ولا يرد أمره راد بل هو غالب على أمره منفذ لمشيئته وهو الرحيم بعباده وبسائر مخلوقاته هذا الاله العظيم هو الذى خلق آدم من طين فى أحسن

صـــوره وفى أكمـــل هيئـــة وأحســـن كل شيء خلقـــه كـــذلك كمـــا أحسن خـــلق آدم من طين وأحســـن خـــلق أبنـــائه من بعـــده فجعلهم من سلالة من مـــاء مهيـــن هـــو مـــاء النطفـــة ثم ســـواه وكمـــله وجمـــله وحســـنه ونفـــخ فيـــه من روحـــه بعـــد كمـــال جســـمه ووجـــود سمعه وبصـــره وفـــؤاده كل هـــذه نعـــم عظيمة ان دلت على شيء فانمـــا تدل على رحمته بعبـــاده لأنـــه أنعـــم عليهم دون استحقاق لهـــم ودون ســـؤال منهـــم قبـــل أن يعرفوه . ولكن قيـــل الانسان ما أكفـــره يـــرى نعـــم ربـــه ويتمتـــع بهـــا ليـــل نهـــار ولكنـــه لا يشكره بـــل ينســـاه ويكفـــر بـــه قليـــلا ما تشكرون . واذا ثبت ذلك كلـــه لله تعـــالى ثبت أنـــه القـــادر العظيم والخـــالق الوحيد الذى يستحق العبـــادة وحـــده دون ســـواه وذلك ما ترمى اليـــه الآيات وتهـــدف اليـــه هـــذه الكلمـــات .. ربنـــا آمنـــا بمـــا أنزلت واتبعنـــا الرســـول فاكتبنا مع الشاهدين .

ثالثـــا : ما يستنبط من الآيات :

١ ـــ انفـــراد الله تعـــالى بخلق المخلوقات جميعها وأحقيته ســـبحانه بالتوحيد والعبـــودية .

٢ ـــ أن تصريف أمـــور الدنيـــا والآخـــرة بيده وحـــده لا غـــير .

٣ ـــ أن المؤمن عـــزيز قـــوى لأنـــه مع الله العـــزيز الرحيـــم .

٤ ـــ خـــلق الانسان الأول من طيـــن والثـــانى من سلالة من مـــاء مهيـــن الدال على قـــدرة الخالق المبـــدع سبحانه وتعـــالى .

٥ ـــ الانسان بنيـــان الله المكرم الذى نفـــخ الله فيـــه من روحـــه تكريمـــا وتشريفا .

٦ ــ الاستدلال بالخلق الأول على القدرة على البعث فالذى خلق فى البداية من لا شىء قادر على الاعادة من شىء .

٧ ــ على الناس أن يشكروا ربهم على كل نعمة أنعم بها عليهم .

قضية البعث

بعد أن بين الله تعالى أدلة قدرته المؤدية الى معرفة الله والايمان به فى الآيات السابقة جاءت هذه الآيات لتبين موقف الكفار من اليوم الآخر والبعث ، فقال الله تعالى حكاية عنهم : « **وقالوا أاذا ضللنا فى الأرض أانا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون (١٠) قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون (١١) ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون (١٢) ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١٣) فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (١٤)** » .

أولا : معانى المفردات :

ضللنا الضلال الحيرة والبعد عن الحق والغيبة عن طريق الرشاد ، جاء فى القرآن الكريم « بل ضلوا عنا » أى غابوا ، و « قد ضلوا وما كانوا مهتدين » يعنى لم يهتدوا

الى الحق . وفى المصباح المنير (ضل) الرجل الطريق « وضل » عنه « يضل » من باب ضرب « ضلالا » و « ضلالة » زل عنه فلم يهتد اليه فهو (ضال) .

(المصباح المنير ص٣٦٣)

والمعنى هنا أاذا غبنا فى الأرض نخرج منها ثانيا ..

وكل بكم كلف بعض أرواحكم والتوكيل التكليف ومنه قوله تعالى « قل لست عليكم بوكيل » أى بمكلف بأعمالكم والوكيل الحفيظ الأمين ، قال يعقوب عليه السلام حين أرسل أبناءه « ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون » ، وفى القرطبى « وكل بكم أى بقبض الأرواح » ، قال ابن العربى وهذا أخذ من لفظه لا من معناه .

(الجامع لأحام القرآن ج ١٤ ص٦٣)

ناكسوا التنكيس ضد الاستقامة وهو الانكباب الى أسفل قال تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى من يمشى سويا على صراط مستقيم » ، والتنكيس فى القراءة قلبها وتلاوتها بالخلف فيأتى بما هو من أسفل قبل ماهو من أعلى القرآن وهو هنا دليل مهانتهم وذلتهم وفى التسهيل (ناكسوا رءوسهم) عبارة عن الذل والغم والندم .

(التسهيل ج ٣ ص١٣٠)

موقنون اليقين التصديق الكامل وأيقن بالشىء صدقه وأزعن

بـه تصديقا ليس بـه أدنى شـك فالكافرون الآن وهـم فى وسـط العـذاب مصدقون تمـام التصديق بيـوم القيامة وما فيـه لرؤيتهم لـه عيـانا ، قـال الامـام الرازى وقولهم « انـا موقنون » معنـاه انـا فى الحـال آمنـا .

(مفاتيح الغيب ج ١٣ جـزء ٢٥ ص١٧٦)

شـئنا المشيئة ارادة الله تعـالى أو ارادة غـيره من النـاس وهى هنـا مشـيئته تعـالى ، قـال رسول الله ﷺ « ماشـاء الله كـان وما لـم يشـأ لـم يكن » ، وقـال الذين أشركوا لـو شـاء الله ما أشركنا .. وهـو تعليل فاسـد لشركهم وكأنهم أشركوا بمشيئة الله لا بمشيئتهم ، وفى الجلالين « لـو شـئنا لآتينـا كل نفـس هداهـا » فتهتدى بالايمـان والطـاعة باختيـار منهـا .

(الجلالين ج ٢ ص١٠٠)

نفـس النفس تطـلق ويـراد منهـا الانسان ببدنه وروحـه قـال تعـالى : « خلقكم من نفس واحـدة » آدم عليه السـلام . وقـد يـراد بهـا الروح ، قـال تعـالى « .. أخرجوا أنفسكم اليوم تجـزون عـذاب الهـون .. » ، والمـراد هنـا الانسان بدنا وروحا قـال الفيروز آبـادى « النفس الروح ، يقـال خرجت نفسـه أى روحـه ، ثم قـال والنفس الدم والنفس الجسـد والنفس العين .

(البصـائر ج ٥ ص٩٨)

الخـلد الخـلد الدوام والاستمرار ، قـال تعالى فى ثـواب المؤمنين بالجنـة « خالدين فيهـا لا يبغون عنهـا حـولا » ، وفى

الحديث « يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » أى أنتم خلود لا تموتون ولا تنتهى حياتكم أبدا • وقد يكون الخلود بمعنى المكث الطويل فى جهنم كما فى قوله تعالى « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا » • (سورة النساء آية ٩٣)

وهذا لأن المؤمن لا يخلد فى النار بل يمكث فيها بقدر معاصيه ثم يذهب الى الجنة ، وفى الحديث « حتى اذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة » •

(والحديث فى فتح المبدى للزبيدى ، كتاب المظالم ص٥٦)

ثانيا : المعنى الاجمالى للآيات :

فى هذه الآيات الكريمات يذكر الله تعالى شيئا من أقوال الكافرين التى واجهوا بها رسول الله ﷺ عندما ذكر لهم عودتهم الى الله تعالى يوم القيامة ومحاسبتهم على أعمالهم فقال منكرين أأذا ضللنا وغبنا فى الأرض بعد موتنا أانا لفى خلق جديد غير هذا الخلق لقد أنكروا رجوعهم بعد الموت لأنهم أنكروا يوم القيامة بل هم بلقاء ربهم كافرون • غير مقرين بلقاء الله ، وهنا يرد النبى ﷺ فيقول لهم « قل يتوفاكم ملك الموت عزرائيل بقبض أرواحكم وفناء أجسادكم لأنه موكل وهكلف بذلك وبعد الموت سيكون الرجوع الى الله تعالى ، ثم الى ربكم ترجعون » وهنا يقص الله تعالى على نبيه موقفهم كأنهم

مشاهدون لـه واقفـون أمامه منكسـوا الرءوس خجـلا وخوفـا وذلـة من شـدة ما يرونه من العـذاب ، يقولون طلبـا للفـرار من العـذاب « ربنا أبصرنا وسمعنا » أبصرنا العـذاب وسمعنا صواعقه وقوارعـه « فارجعنـا » مـرة أخـرى الى الدنيـا لنعمل عمـلا صالحا كمـا قـلت لنـا وطلبت منـا فانـا مؤقنون ليس عندنا أدنى شـك فى يـوم القيـامة • يقـول الشهيد سـيد قطب « انه مشهد الخـزى والاعتراف بالخطيئة والاقـرار بالحـق الذى جحدوه واعلان اليقين بمـا شـكوا فيـه وطـلب العـودة الى الأرض لاصـلاح ما فـات فى الحيـاة الأولى وهـم ناكسـوا رءوسهم خجـلا وخزيا عند ربهـم الذى كـانوا يكفرون بلقـائه فى الدنيـا ولكن هـذا كله يجىء بعـد فـوات الأوان حيث لا يجـدى اعتراف ولا اعلان وقبـل أن يعلق السـياق جـواب استخزائهم الذليـل يقـرر الحقيقة التى تتحكم فى الموقف كلـه وتتحكم قبـل ذلك فى حيـاة الناس ومصائرهم ولـو شئنا لأتينـا كـل نفس هداهـا ولكن حـق القول منى لأملأن جهنـم من الجنـة والنـاس أجمعين •

(فى ظلال القرآن جـ ٥ ص٢٨١١)

واقـرار تلك الحقيقة فيـه ما فيـه من الوعيد وقطـع طـريق الأمـل على الكافرين ذلك أن نفوسهم لـم تهتـد بعـد فالصبر الآن جهنـم فـلا خـروج منهـا ولا نهـاية لعذابها وهـم حطبها الذين تستقر بهـم وهـم وقودهـا الذين تقـول لهـم الملائكة « فذوقوا بمـا نسيتم » أى بسبب نسيانكم لقـاء ربكم هـذا ذوقوا العـذاب لأنـا نسيناكم كمـا نسيتم لقـاء ربكم وذوقـوا عـذاب الخـلد المستمر الدائـر بمـا كنتـم تعملون » فخـابوا وخسروا بسـبب

كفرهم وعنادهم وانكارهم ليوم القيامة وللقاء ربهم وبما عملوا من المعاصى والذنوب ، وقانا الله شر الكفر والكافرين .

ثالثا : ما يستنبط من الآيات :

١ — أن الجحود والانكار سبب فى غيبة العقل عن الفهم المستقيم ذلك أن الكافرين لو عقلوا أمرهم لعلموا أن القادر على خلقهم أولا قادر على خلقهم واعادتهم مرة ثانية ولكن أعماهم الكفر عن الفهم السليم فأنكروا البعث واليوم الآخر.

٢ — أن الكفر والمعاصى سببان لذل أصحابهما ومهانتهم .

٣ — عدم نفع الأيمان وقت العذاب يوم القيامة .

٤ — اختيار العباد فى أفعالهم التكليفية فمادام الله قد كلف فقد ترك للعبد الحرية فى العمل وتركه .

٥ — أن الجن مكلفون ومحاسبون ومنهم المطيع ومنهم العاصى آخذا من قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين .. الآية .

٦ — مشروعية الوكالة فى الشريعة الاسلامية وأن الوكيل أمين وحافظ لموكله على ما كلف به .

« مـع المؤمنيـن وسـماتهم »

بعـد حـديث الله تعـالى عن الكافرين الضالين وسماتهم السيئة وأقوالهم الغافلة الضـالة ومالهم النـكد المشـئوم جـاءت الآيات لتحـكى لنـا صـفات الأبـرار الأطهـار من المؤمنين الصادقين فى ايمانهم وفيهـا يقـول الله تعـالى : « **انمـا يؤمن بآياتنـا الذين اذا ذكـروا بهـا خـروا سـجدا وسـبحوا بحمـد ربهـم وهـم لا يستكبرون (١٥) تتجـافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفـا وطمعـا ومـما رزقناهم ينفقـون (١٦) فـلا تعـلم نفس ما أخفى لهـم من قـرة أعين جـزاء بمـا كانوا يعملون (١٧)** » .

أولا : بيـان معـانى المفردات :

خـروا خـر فـلان على الأرض سـقط عليها وخـر ساجدا هـوى الى السجود على الأرض ، والمعنى استجابوا لربهم استجابة تامـة معبرين عنها بالسجود لله رب العالمين ، قـال الرازى فى المختار « الخـرير صـوت المـاء . وقـد خـر يخـر بالكسر خريرا وعين خـراره . وخـر للـه ساجدا يخـر بالكسر خـرورا أى سـقط ، والخرخـرة صـوت النـائم والمختنق .

(مختـار الصحاح ص١٥٠)

سـبحوا التسبيح قـول الذاكـر سبحان الله وهـو تنـزيه الله تعـالى عن كـل النقائص وضـوه التقديس وهـو نسبه الكمالات

كلهـا الى الله تعـالى وفى اللسـان « وسبحان الله معنـاه تنزيهـا لله من الصاحبة والولد ، وقيـل تنـزيه الله عن كـل مـالا ينبغى لـه أن يوصف بـه • (لسان العرب جـ ٣ ص١٩١٤)

تتجـافى التجـافى التباعد ، الجفـاء الغلظة والقسـوة التى تبعـد الأخ من أخيـه وتفـرق الحبيب من حبيبـه ، وفى البصـائر « يقـال جفت القـدر وأجفت ومنـه الجفـاء وقـد جفوته أجفوه جفـوة وجفـاء ومن أصـله أخـذ جفـا السرج عن ظهـر الدابـة نبـا عنـه » • (البصائر جـ ٩ ص٣٨٥)

والمعنى المـراد ابتعـاد جنوبهم عن أمـاكن نومهـم وقيامهم الليـل للـه رب العالمين •

المضـاجع جمـع مضجع وهـو مكان الأضطجاح الذى يستريح فيـه وبـه الانسان • قـال القرطبى « والمضاجع جمـع مضجع وهى مواضع النـوم ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجـاز والحقيقة أولى ومنـه قـول عبد الله بن رواحـه :

وفينـا رسول الله يتـلو كتـابه
اذا انشق معروف من الصبح ساطع

ببيت يجـافى جنبـه عـن فراشـه
اذا اسـتثقلت بالمشركين المضـاجع

(الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص٦٧)

خوفـا الخـوف ضـد الأمن والمعنى يعبدون الله خوفا منـه ومن عقـابه • والخوف الخشية ، قـال الفيروز آبادى « وهـو توقع المـكروه عن أمـارة مظنونة أو معـلومة » •

(البصـائر ج ٢ ص٥٧٦)

طمعـا الطمـع توقـع محبوب عن أمـارة مظنونة أو معلومة كمـا قـال الفيروز ، والمعنى أنهـم يطمعون فى رحمـة الله تعـالى بسـبب طاعتهم لـه • وفى التنزيل المبـارك « أفتطمعون أن يؤمنـوا لـكم » وأيضـا « وادعـوه خوفـا وطمعـا » أى اعبـدوه على الخـوف من عـذابه والطمع فى رحمته •

قـرة أعين قـرة العين ما يفرحها ويسرها ، قالت امـرأة فرعـون فى وصـف موسى « قـرة عين لى ولك » • قـال البيضاوى « من قـرة أعيـن ممـا تقـربه عيونهم (وعنه عليه الصلاة والسلام يقـول الله تعـالى أعـددت لعبادى الصالحين مـالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر على قلب بشـر بلـه ما أطلعتم عليـه أقـرءوا ان شـئتم فـلا تعـلم نفس ما أخفى لهـم من قـرة أعين) » •

(تفسير البيضاوى هامش حاشية الشهاب الخفاجى ج ٧ ص١٥٣)

(والحديث فى فتـح البارى برواية أبى هـريرة ص٨٧ كتـاب تفسير القـرآن) •

ثانيا : المعنى الاجمالى للآيات :

فى هـذه الآيات بيـان لبعض صـفات المؤمنين جـاء بأسلوب القصـر حيث قصـر الايمان على من وجـدت فيه هـذه الصـفات فالمؤمن هـو من اذا سمع آيات القـرآن تتـلى عليه وتذكـر باللـه سـمع خاشعا ضارعا لهـا وخـر لله ساجدا لعظمته مستجيبا لأمره الذى سمعه مبتعـدا نائيـا عن المنكرات والمعـاصى والسيئات كبيرها وصغيرها جليلهـا وحقيرها خـر ساجدا مسبحا بحمد ربـه منزهـا لذاته عن كل نقص ناسبا اليـه كل كمـال وجلال شأنه التواضع مع ربـه ومع اخوانه فى غـير مذلة لأحـد ولا مسكنة خوفـا من أحـد والحـال أنهـم لا يستكبرون • والمؤمنون أيضـا قـوم لهـم مـع الله لحظـات وأوقـات هى تلك الأوقـات التى تنـام فيهـا العيـون وتسكن فيهـا الأبدال ويخـلو فيهـا كـل حبيب بحبيبته « وبالأسحار هـم يستغفرون » فى وقت السحر يفرون الى ربهـم ويجافون جنوبهم عن المخـادع والمضـاجع ليحظـوا بالـود من ربهـم والحـب من خالقهم • يصلون ويستغفرون ويذكرون ربهـم بكل ما يستطيعون من ألوان الذكـر خوفـا من جـلاله وخوفـا من عـذابه وطمعـا فى رحمته وثوابـه ورجـاء فى رضـاه سبحانه • وقيـل فى الوقت الذى كـانوا يعبدون الله فيـه انـه ما بين المغـرب والعشاء كمـا روى فى أسباب النـزول • أخـرج الترمذى وصححه عن أنس أن هـذه الآيـة « تتجـافى قلوبهم عن المضاجع » نزلت فى انتظار الصـلاة التى تدعى العتمـة • وأخـرج البـزار عن بـلال قـال كنـا نجلس فى المسجد وناس من أصحاب رسـول الله ﷺ يصلون بعـد المغرب الى العشـاء فنزلت هـذه الآيـة • قـال السيوطى فى اسناده عبد الله

ابن شعيب ضعيف • أقـول وما ذكـر فى أسباب النزول لا يمنـع العبـادة والخلوة مع الله تعـالى فى أى وقت كـان لأن الله يقـول « وهـو معكم أينمـا كنتـم » فليخل العبد بربـه وليتقرب اليـه فى كـل وقت ، وحين يجـد الله معـه سميعا لدعـائه مجيبا لرجـائه غافـرا لذنبـه رحيمـا بـه فـلا تعـلم نفس ما أخفى لهـم من قـرة أعين جـزاء بمـا كـانوا يعملون • جعلنـا الله من المؤمنين الصـادقين •

ثالثـا : ما يسـتفاد من الآيات :

١ ــ أن المؤمن الكامل محـب لربـه عـابد لـه مطيع لأمـره منتـه عمـا نهـاه الله عنـه •

٢ ــ استحباب سجود التـلاوة عند تلاوة بعض الآيات القرآنية ومواضعها محددة فى المصحف الأمـام وكـل المصاحف واختلف الفقهاء فى عددهـا فمنهـم من عدهـا عشرا ومنهـم عدهـا أكثـر من ذلك يقـول الشيخ محمـود شلتوت « فى القـرآن الكريم آيات لا يقـل عددهـا باتفـاق المحدثين والفقهـاء عن عشر ايات ولا يزيد عددهـا باتفاقهم أيضـا عن خمس عشرة آيـة • يأمـر بعض هـذه الآيات بالسـجود لله • وينـكر بعضها على من سـجد لغـير الله • ويحكى بعضها عمـا فى السموات ومافى الأرض وعن الملائكـة وعن المؤمنين سجودهم للـه • وكـان النبى ﷺ اذا قـرأ آيـة من تلك الآيات سـجد فى نهايتها وسـجد معـه السامعون » ثـم قـال فى كيفيتها « وهى تؤدى بسجدة واحـدة بين تكبيرتين احداهما عند الهوى لوضع

الجبهة على الأرض والأخرى حين الرفع للانتهاء دون تشهد ولا تسليم ، وأفضل ما يقال فيها بعد تسبيح السجود المعهود ما روى عن عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ يقول فى سجود القرآن « سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته » ، واختلفت المذاهب فى شرط الطهارة لها فمنهم من أشترط الوضوء ومنهم من لم يشترطه ولكل رأيه ودليله ولكن الطهارة أولى لأنه عبادة والله أعلم .

(الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ص١٠٩ ، ١١٠)

٣ — استحباب قيام الليل والتهجد والذكر بالقرآن وبغيره وبذلك جاءت نصوص القرآن الكريم « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » وقوله (وبالأسحار هم يستغفرون) وقوله « كانوا قليلا من الليل ما يهجعون » وأيضا وردت السنة بذلك ومنها قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل . ومنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا » متفق عليه .

(رياض الصالحين ص٢١٧)

٤ — عظم ثواب المؤمنين وجزاؤهم عند الله تعالى آخذا من ابهامه له وعدم تفضيله فى الآية وان كانت هناك نصوص بينت شيئا منه . والله أعلم .

« مقـارنة بين المؤمنيـن والكافـرين »

بعـد البيان المفصـل الواضح لسمات كل من المؤمنين والكافرين وبيـان مصـير كـل من الفريقين لمـا فى المقـارنة من ظهور الفـرق والتبـاين بين المتضادين • وبضدها تتمـايز الأشياء ، والضـد يظهر حسـنه الضـد • جـاءت الآيات لتبين ذلك وفيهـا يقول الله تعالى : **« أفمن كـان مؤمنا كمن كـان فاسقا ؟ لا يستوون (١٨) أمـا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المـأوى نزلا بما كانوا يعملون (١٩) وأمـا الذين فسـقوا فمأواهم النـار كلمـا أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيهـا وقيـل لهـم ذوقوا عـذاب النـار الذى كنتـم بـه تكذبون (٢٠) ولنذيقهم من العـذاب الأدنى دون العـذاب الأكبر لعلهم يرجعـون (٢١) ومن أظـلم ممن ذكـر بآيات ربـه ثم أعرض عنهـا انـا من المجرمين منتقمون (٢٢) »** •

أولا : بيـان معانى المفردات :

الهمـزة فى (أفمن) الهمـزة للاستفهام ويجـوز أن تكـون للتسوية ويكون المعنى أيستوى من أمـن مع من كفـر وفسـق ويؤيد هـذا الوجـه قـوله تعالى جـوابا على السؤال « لا يستوون » قال الشهاب الخفـاجى « هـذا على طريق الفـرض أو التهكم اذ لا مثوبة للـكافر أصـلا » •

(حاشية الشهاب على البيضاوى جـ ١ ص١٥٣)

فاسقا الفسق الخروج على الطاعة والعرب تقول فسقت الرطبة أى خرجت من قشرتها والفاسق الخارج عن الايمان فى عرف الشريعة وفى البصائر ، « والفسق أعم من الكفر ويقع على كثير الذنب وقليله لكن تعرف فى الكثير أكثر • وفيمن الترخ حكم الشرع ثم أخل بأكثر أحكامه • والكافر فاسق لاخلاله بما ألزمه العقل واقتضته الفطرة السليمة » • (البصائر ج ٤ ص١٩٣)

نزلا النزل مكان النزول للضيافة وغيرها والمنزلة المكانة والدرجة ، قال الله تعالى : « خالدين فيها نزلا من عند الله » وقال تعالى : « وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » والشاهد أن النزل مكان النزول والراحة والضافة وغير ذلك •

أعيدوا فيها الأعادة الرجوع ، قال تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده » أى نرجعه كالبداية والمراد هنا عدم خروجهم من النار • قال المراغى أى كلما شارفوا الخروج منها وظنوا أنهم قد تيسر لهم ذلك وهم بعد فى غمراتها أعيدوا فيها ودفعوا الى قعرها •

ذوقوا الذوق أحد الحواس الخمس ويكون بالفم حقيقة ويكون بغيره مجازا • قال الشهيد سيد قطب « وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ، فهو التقريع زيادة على الدفع والتعذيب » •

(الظلال ج ٥ ص٢٨١٣)

الأدنى لفظ مشتق من الدنو وهو القرب أو من الدناء وهى المهانة والسخرية ، والمعنى نذيقهم العذاب القريب فى الدنيا أو العذاب الأقل من عذاب الآخرة وهو لمفهوم من سياق النص • قال المراغى « أى ولنبتلينهم بمصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها من المجاعات والقتل ونحو ذلك عظة لهم ليقلعوا عن ذنوبهم قبل العذاب الأكبر وهو عذاب يوم القيامة » •

(تفسير المراغى جـ ٢١ ص١١٦)

أظلم أفعل تفضيل من ظلم والظلم له معان متعددة منها انقاص الشىء ، قال تعالى : « ولم تظلم منه شيئا » ومنها التعدى على ملك الغير ، كما فى قوله تعالى « ومن يتق حدود الله فقد ظلم نفسه » وهذا فى الطلاق بدون حق أو على غير السنة وهو ظلم للزوجة المطلقة لكن الله قال ظلم نفسه لأن عاقبة الظلم تعود على النفس وفيه ما فيه من المبالغة فى الزجر عن الظلم وسبحان من قال ذلك • والمعنى أشد الناس ظلما هو ذلك الانسان الذى ذكر فلم يتذكر •

أعرض عنها الاعراض عن الشىء الانصراف عنه مطلقا أو الميل الى غيره مع تركه ، قال تعالى « ومن أعرض عن ذكرى » أى انصرف عنه وهو المعنى المراد هنا ، والله أعلم •

منتقمون اسم فاعل من يقم والانتقام المعاقبة والمؤاخذة على الذنب ، قال تعالى « ومن عاد فينتقم الله منه » وفى البصائر « والنقمة المكافأة بالعقوبة •• وانتقم أى عاقبه وقيل أنكره

امـا باللسان وامـا بالعقـوبة » • (البصائر جـ ٥ ص١١٦)

ثانيـا : المعنى الاجمـالى :

تعقـد هـذه الآيات مقـارنة بين من أمـن بالله ودخـل فى دينـه راغبـا محبـا وبين من كفـر وفسـق وخرج على طاعة ربـه فتبين أنـه لا يستوى بحـال من الأحـوال حـالا ومـالا المؤمن بالله مع الكافـر الفاسق فى منطق العقلاء ، فالعقـل يقـر عـدم المساواة والنقـل ، يقـول (لا يسـتون) ويقول « لا يستوى أصحاب النـار وأصحاب الجنـة ، أصحاب الجنـة هـم الفائزون » •

وبعـد هـذا الحكم من الحكم العـدل سبحانه وتعالى ، يأتى بيـان عـدم التسوية فى الصفات وفى المصـير والجـزاء ، فيقـول الله تعـالى « أمـا الذين آمنـوا وعمـلوا الصالحات فلهم جنـات المـأوى نـزلا بمـا كانوا يعمـلون » فالشـأن فى المؤمنين أنهـم آمنـوا بربهـم واتبعـوا الايمـان بالعمـل الصالح الذى ينفعهـم وينفـع غيرهـم فى الدنيـا والآخـرة وتلك سماتهم الطيبـة التى جعلتهـم أهـلا للجـزاء الحسـن والثـواب العظيـم فلهم جنـات المـأوى نزلا بمـا كانوا يعملون • تكريما لهـم وتشريفا لقدرهـم وعـلوا لرتبتهم عن الفاسقين الخارجين على طاعـة ربهم والمـارقين من دينهـم والمخرسين لدنياهم والخاسرين آخرتهم هـؤلاء الفسـقة أصـحاب السمات السـيئة لا يستحقون الا جهنـم جـزاء وفاقـا لأعمالهم « فمأواهـم النـار » يمكثون فيهـا وهـم يريدون الفـرار منهـا « كلمـا أرادوا أن يخرجوا منهـا أعيدوا فيهـا » مـرة أخرى

زيادة فى التنكيل بهم والمهانة لهم وتقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون » فى الدنيا وهو الآن محيط بكم محرق لكم لا تستطيعون الفكاك منه أو الهروب منه • ثم بين الله تعالى أن الفاسقين سيجازون ببعض العذاب فى الدنيا قبل يوم القيامة فقال « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى » وهو عذاب الدنيا الكائن بالمصائب والبلايا وصنوف الألوان ، كما قال تعالى فى الفاسقين الكافرين برسلهم « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (سورة العنكبوت آية ٤٠) وهذا العذاب أهون بكثير من العذاب الأكبر الذى ينتظرهم فى الآخرة والسر فى أن الله تعالى يذيقهم من العذاب الأدنى فى الدنيا التذكير والاتعاظ « لعلهم يرجعون » الى ربهم ويثوبون الى رشدهم فيعدلوا عن فسقهم وفجورهم الى الايمان بالله رب العالمين ثم يعقب الله هذا البيان المفصل وتلك المقارنة المميزة للمؤمنين عن غيرهم من الفاسقين بعطى الله تعالى حكما عاما هو أن أظلم الناس وأشدهم جرما وقبحا هو ذلك الانسان الذى ذكر بآيات الله القرآنية والكونية فلم يتعظ ولم يعتبر واستمر فى غيه وضلاله ومثل هذا الانسان حقيق وجدير بانتقام الله منه ذلكم هو معنى قوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها « انا من المجرمين منتقمون » جنبنا الله الظلم والظالمين •

ثالثا : ما يستفاد من الآيات :

١ ــ عــدم المساواة بين المؤمنين والفاسقين فى الدنيــا وفى الآخرة .

٢ ــــقــد يريد الله تعــالى أن يعــذب بعض العبــاد فى الدنيــا رغبــة فى الرجوع اليــه والعــودة الى الايمــان .

٣ ــ شــدة عــذاب الآخــرة فى النــار المستفاد من هــرب المعذبين من النــار وارادتهم الخروج منهــا ودفع الملائكة لهــم بداخلها .

٤ ــ التنفــير من الظــلم والظالمين ومن الفسق بجميــع ألوانه .

٥ ــ حساب الله للعبــاد عى معاصيهم فى الدنيــا والآخرة ومجازاتهم بالخــير أن أطاعــوا وبالشــر ان عصــوا وبغــوا ، واللــه أعــلم .

« تسـلية الرســول صلى الله عليه وسلم »

فى الآيات السابقة بيــان لأصناف النــاس فى مواجهة الرســالة والقــران . وأن البعض أمــن وكفــر الفاسقون وجوزى كل بمــا عمــل وآل كــل الى ما يستحق من مصــير يناسبه ووجــود الكافرين بالرســالة والرسول ممــا يتــرح الرسول ويحــزنه لأنــه يحرص عى ايمــان الجميــع فاقتضى ذلك أن يســلى الله نبيــه وأن يسرى عنــه يزيل غمــه ويذهب حــزنه فذكــر لــه الله سبحانه طرفــا من قصــة موسى عليــه السلام قــائلا سبحانه **« ولقــد أتينــا موسى الكتاب فــلا تكن فى مــرية من لقــائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل (٢٣)**

وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (٢٤) ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (٢٥) » .

أولا : معانى المفردات :

مرية المرية الشك والارتياب ، قال الفخر الرازى : « قيل معناه فلا تكن فى شك من لقاء موسى فانك تراه وتلقاه » . (مفاتيح الغيب ج ٢٥ ص١٨٦)

أئمة جمع مفرده امام والامام كل من يقتدى به فى شأن من الشئون ، قال ابن كثير « كان منهم أئمة يهدون الى الحق بأمر الله ويدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . (تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص٤٦٣)

بأمرنا أى باذننا وبعملنا والأمر كل شأن من الشئون قال تعالى « ألا الى الله تصير الأمور » وقال « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » والأمر الشرعى وهو طلب الاتيان بفعل ما ومنه الأمر التكوينى .

صبر الصبر خلق من أخلاق الاسلام وسمة من سمات المسلم التى يجب شرعا ودينا أن يتحلى بها وهو تحمل المشاق ، وفى المصباح : صبرت صبرا من باب ضرب حبست النفس عن الجزع . (المصباح المنير ص٣٣١)

يفصل الفصل الفرق والتفصل البيان الواضح ومنه الحكم لأنه فصل بين المتنازعين ، قال تعالى « هذا يوم الفصل » أى يوم الحكم والقضاء بين الناس ، وفى البصائر فصلت الشيء فانفصل قطعته فانقطع . وفصل من الناحية خرج ، وفصلية الرجل رهطه الأدنون أو عشيرته .. » .

(البصائر ج ٤ ص١٩٤)

يختلفون الاختلاف التنازع والشقاق والتباين ، واختلف الى الشيء ذهب اليه ومنه قوله تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » أى وجدوا تباينا وتغايرا فى القرآن . وفى المختار « والخلاف المخالفة » وقوله تعالى « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » أى مخالفة رسول الله .

(مختار الصحاح ص٣١٨)

ثانيا : المعنى العام للآيات :

فى هذه الآيات الكريمة يسلى الله نبيه ﷺ بذكر طرف من قصة نبى الله موسى عليه السلام كرسول سابق عليه فى طريق الدعوة الى الله تعالى حدث معه ما حدث مع رسول الله ﷺ من ايمان البعض وكفران البعض ، لكن الآية آثرت ذكر المؤمنين المهتدين دون غيرهم لما فى ذلك من الحث على الايمان والتشبه بالمؤمنين ، وأخفى سبحانه ذكر الكافرين بموسى من باب الاستخفاف بشأنهم وكراهية الناس لهم كأنهم لا يستحقون الذكر .

ولعل سائلا يسأل لماذا آتى بذكر قصة موسى عليه السلام دون عيسى ؟

وأقول لعل ذلك حدث لأن عيسى كان مصدقا بالتوراة التى نزلت على موسى عليه السلام أو لعل النزاع كان مع موسى عليه السلام كان أكثر مما كان مع عيسى عليه السلام . أو لعل المؤمنين بموسى كانوا أكثر من المؤمنين بعيسى وهذه وجهة نظر فقط وقد ذكر بعض المفسرين شيئا من التعليل لذلك . فقال الفخر الرازى وأختار من بينهم موسى لقربه من النبى ﷺ ووجود من كان على دينه الزاما لهم وانما لم يختر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لأن اليهود ماكانوا يوافقون على نبوته وأما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه .

(مفاتيح الغيب جـ ٢٥ ص١٨٧)

وقد أخبر الله تعالى بأنه أتى موسى الكتاب وهو التوراه ثم وجه الخطاب الى النبى ﷺ قائلا فلا تكن فى مرية أى شك من لقائه ومقابلته واختلف المفسرون فى الضمير فى لقائه هل هو عائد الى موسى أم الى الكتاب ؟ وبكلا الوجهين قيل ، والنص يحتمل ذلك ويصدق فى لقاء الكتاب وقد صدق فعلا فى لقاء موسى عليه السلام ليلة الاسراء والمعراج بذلك قال كثير من المفسرين ومنهم الامام القرطبى . فلا تكن فى مرية من لقائه ، أى فلا تكن يا محمد فى شك من لقاء موسى . قاله ابن عباس وقد لقيه ليلة الاسراء . فتارة المعنى فلا تكن فى شك من

أنك لقيته ليلة الاسراء والمعنى واحد ، وقيل فلا تكن فى شك من لقاء موسى فى القيامة وستلقاه فيها ، وقيل فلا تكن فى شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول ، قاله مجاهد والزجاج . وعن الحسن أنه قال فى معناه « ولقد آتينا موسى الكتاب » فأوذى وكذب فلا تكن فى شك من أنك ستلقاك ما لقيه من التكذيب والأذى فانها عائدة على محذوف والمعنى من لقاء ما لاقى » . (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٤ ص٧٢)

أقول وقول الحسن قول وجيه يؤيده السياق . والله أعلم .

وفيه ما فيه من حث الرسول ﷺ على الاقتداء بموسى عليه السلام فى صبره وتحمله أذى وتكذيب قومه وذلك على حد قوله تعالى اسمه « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وقوله وجعلناه هدى لبنى اسرائيل أى موسى أو الكتاب كلاهما جعله الله تعالى هداية وارشادا لبنى اسرائيل فكان المؤمنون منهم بالكتاب وبموسى عليه السلام أئمة وقدرة فى الخير فى الخير بهم يقتدى . وعلى طريقهم يسار . يهدون بأمر الله تعالى لدينه فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون الى كل خير . وكانوا بآياتنا يوقنون . أما الفريق الآخر وهم الكافرون فقد طوى الله الحديث عنهم تنفيرا منهم ومن صفاتهم وأحوالهم ومصيرهم ثم جاءت النهاية « ان ربك » يا محمد ورب موسى وسائر المؤمنين والكافرين أيضا . لكن الاضافة جاءت للرسول لبيان أن الله فى صفه ومعه بعونه ونصره

وتأييده « يفصل بينهم » يحكم بينهم بين المؤمنين والكافرين بفصله العادل وحكمه المقسط « يوم القيامة » فى كل شىء اتفقوا عليه أو اختلفوا فيه « فيما كانوا فيه يختلفون » • « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » •

ثالثا : ما يستنبط من الآيات :

١ ــ فضل موسى عليه السلام كرسول مرسل الى بنى اسرائيل يجب علينا أن نؤمن به كما نؤمن بسائر الرسل عليهم السلام •

٢ ــ ٢ ــ أن كل رسول من الرسل كان فى قومه من آمن به ومن كفر وتلك ارادة الله تعالى ليميز الخبيث من الطيب

٣ ــ على الدعاة الى الله المقتدين برسل الله عليهم السلام أن يعلموا أن الناس متفاوتون فى عقولهم وفى فكرهم وأنهم معادن مختلفة فيهم الخير وفيهم الشرير فليعاملوا كلا من الفريقين بما ينبغى أن يعامل به • وعليهم أن يصبروا صبرا طويلا حتى يأخذوا بأيدى هؤلاء الضالين الى طريق الله المستقيم •

٤ ــ فضيلة الصبر كخلق اسلامى وبيان أنه سبب فى جلب الخيرات ودفع المنكرات ، ويكفى الصابرين أنهم دائما فى معية الله تعالى القائل ان الله مع الصابرين •

« مهاجة الكافرين »

بعد حديث الله تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام وما كان من قومه تسلية لرسولنا الكريم ﷺ جاءت الآيات بعد ذلك تحاور

الكافرين وتجادلهم لتثبت صدق الرسول ﷺ فى رسالته وصدقه فى كل ما أخبر به عن يوم القيامة وعما يتعلق بالشريعة والعقيدة وسائر أمور الدين الاسلامى وغيها يقول الله تعالى « **أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون (٢٦) أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون (٢٧) ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين (٢٨) قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون (٢٩) فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون (٣٠)** » .

أولا : **معانى المفردات :**

يهد لهم الهداية فى الأصل الدلالة على المطلوب والارشاد اليه وهى هنا بمعنى العلم ، قال ابن جزى معناه أفلم يتبين لهم والضمير لقريش والفاعل ليهد ضمير مقدر تقديره أولم يهد لهم الهدى أو الأمر ، وقال الزمخشرى الفاعل الجملة التى بعده .

(التسهيل ج ٣ ص٢١)

كم حرف استفهام يراد به التكثير هنا والمعنى كثيرا ما أهلكنا من قبلهم من القرون السابقة . قال ابن هشام « أما كم فتنقسم الى استفهامية بمعنى أى عدد ، وخبرية بمعنى كثير » .

(أوضح المسالك على الألفية لابن مالك ص٢٥١)

الأرض الجـرز الأرض الميتـة اليابسة ، قال الرازى « أرض جـرز ، جـرز كعسر وعسر لا نبـات بهـا » .

(المختار الصحاح ص٢٠٦)

الفتـح الفتـح له معـان متعددة منهـا الانتصار عـلى العـدو ، كقوله تعالى « انـا فتحنا لك فتحا » وقوله « ان تستفتحوا فقـد جاءكم الفتـح » والفتـح بمعنى الحكم ، قـال تعالى « وأنت خـير الفاتحين » أى الحاكمين . وهـو هنـا بمعنى الحـكم يـوم الفتـح هـو يـوم القيـامة الذى يفصـل الله فيـه بين الخـلق قـال القرطبى « قـال قتـادة الفتـح القضـاء » وقـال الفـراء يعنى فتـح مكـة ، وأولى من هـذا ما قـاله مجـاهد يعنى يـوم القيـامة . (الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص٧٤)

ينظـرون أنظـره ينظـره أى أمهـله وأخـره . قال ابليس اللعين « رب أنظرنى الى يـوم يبعثـون » أى أخـرنى الى يـوم القيـامة . وقـال الله تعـالى « وان كـان ذو عسرة فنظـرة الى ميسـرة » أى امهـال وانظـار . والله أعـلم .

ثانيا : المعنى الاجمالى للآيات :

فى هـذه الآيات الكريمات عـودة الى لفـت أنظـار النـاس وخاصـة الكافرين الى آيات الله فى خلقـه وكـونه حتى تعود القلوب الى صوابها وتثوب الى رشدها فيقول الله تعـالى « أولـم يهدهم » أى أهـل مكـة الذين كفـروا بالرسول ورسالته أى ولـم يعلمـوا أن الله قـد أهـلك كثـيرا من القـرون قبلهم « كـم أهلكنا من قبلهم

من القـرون » وهـم الآن يرون مساكنهم قـد أصبحت أثـرا بعـد عين يمشون فيهـا فـلا يجـدون أنيسـا يؤنسهم ولا جليسا يحييهم وذلك قـوله تعـالى « يمشـون فى مساكنهم ان فى ذلك » الحـادث وما آل اليـه مصـير هـؤلاء « لآيات أفـلا يسمعون » ثم يلفـت اليـه أنظارهم الى آيـة أخـرى وهى خـروج النبـات من الأرض الجـرز فيقـول سبحانه « أولـم يـروا أنـا نسوق المـاء أى ننزله من السـماء ونحركه بالرياح ليصـل « الى الأرض الجـرز » اليابسة الخالية من النبـات « فتخـرج بـه زرعـا » نافعـا لهـم ولأنعام « تأكـه منـه أنعـام وأنفسهم أفـلا يبصرون » . هـذا ولمـا كان الصحابة يقولون للمشركين ان لنـا يومـا يوشك أن نستريح فيـه وننعـم . فقـال المشركون متى هـذا الفتـح ان كنتـم صـادقين فنزلت الآيـة . كمـا قـال السيوطى فى أسـباب النزول ص١٥٦ ، وهى قـوله تعـالى « ويقولون متى هـذا الفتـح » أى متى يأتى هـذا اليـوم الذى تستريحون فيـه أو تنصرون فيـه أو يحـكم الله بيننـا وبينكم « ان كنتـم صادقين » فى قولكم أو فى وعدكم . وهـذا شـرط جـوابه فأخبرونا أو فأتونا بـه كمـا يفهـم من سياق الآية وجـاء الجواب بعـد ذلك لينذرهم ويحذرهم من الخسران المبيـن الذى يحـدث لهـم ان جـاء ذلك اليـوم وهـم على حالهم فقـال تعـالى « قـل يـوم الفتـح لا ينفـع الذين كفروا ايمانهم ولا هـم ينظـرون » ، والمعنى أنـه اذا جـاء يـوم الفتـح ورأوه فصدقوا بـه وآمنـوا بوجـوده فأيمانهم حينئذ لا ينفعهم لأنـه قـد مضى وقت التكليف بـه ووقت قبـوله من النـاس جميعـا . وللعلم فوقت الايمـان هـو الحيـاة كلهـا ما لـم يفـرغ العبد كمـا فى الحديث « ان الله يقبـل توبـة العبـد ما لـم يغرغـر » .

(الحديث فى تفسير القرطبى جـ ٥ ص٦١ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص٤٦٤ ، من رواية أبى هـريرة) .

وقـد حـدث فى الدنيا أن فرعون آمـن عند غرقه فـلم يقبـل الله ايمـانه لأنـه أمن مضطرا وتحت وطـأة العذاب وطلبا للفـرار من الغـرق . وهنـا يتسلى الله نبيـه فيقول لهـم « فأعرض عنهم » ولا تلتفت لقولهم ولا تعبـأ بمـا يؤذونك بـه (وانتظـر) الفـرج والفتـح من ربك عليهـم « انهـم منتظرون » نزول العـذاب لهـم والنصـر عليهـم وهـم لا يعلمون بذلك الله وحـده هـو الذى يعلم ذلك ويعلمـه الرسـول ﷺ . ان شـاء جعلنا الله من المؤمنين بـه المعتزين بعـزته .. آميـن .

ثالثا : ما يستنبط من الآيات :

١ — على الانسان أن يتعـظ بمـن سـبقه فيأخذ العبر والعظات من تجاربهم فى حياتهم أو من مصيرهم الذى آلـوا اليـه .

٢ — أن يـوم القيامة حـق لاريب فيـه وآت لا محـالة وميعـاده يعلمـه الله تعالى وحـده وعلى الناس أن يستعدوا للقـاء الله سـبحانه .

٣ — بشرى الله تعـالى لرسوله ﷺ بنصـر الاسلام والمسلمين على كـل الأديان وذلك على حـد قـوله تعالى « كتب الله لأغلبن

أنـــا ورسلى ان الله قـــوى عـــزيز » (سورة المجادلة آية ٢١)

وقـــوله تعالى « اننـــا لننصر رسلنا والذين آمنـــوا فى الحيـــاة الدنيـــا ويوم يقـــوم الأشهاد » (سورة غافر آيـــة ٥١) .

نسألك اللهـــم أن تنصرنا بنصرك وتؤيدنا بقوتك . وتعـــزنا بعزتك كمـــا وعدتنـــا انك لا تخلف الميعـــاد .

الخاتمـــة

الحمـد لله الذى تتـم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على من ختـم الله بـه الرسالات سيدنا محمد وعلى أصحابه الذين وفقوا لفعـل الخيرات وترك المنكرات ففـازوا بأحسن الدرجات ..

وبعـــد ..

فهـذه تأملات فى سـورة السجدة أفرغت فيهـا جهدى وبذلت فيهـا وسعى ووقفت فيهـا عند كـل لفـظ محـلك ومدققا ومستنبطا بقـدر ما فتـح المـولى سبحانه فـان كنت قـد وافقت الصـواب فالحمد للـه على توفيقـه وان كنت قـد أخطـأت فهـذا شأن البشر ويكفينى استهداف الصـواب وطلب الوصول الى الحـق . والقـرآن الكـريم كتـاب الله تعـالى بحـر فياض لا يدرك غـوره . ولا يصل أحـد الى نهـاية علمـه مهمـا كـان شأنه ، قـال الله تعـالى : « وما أوتيتـم من العـلم الا قليـلا » صدق الله العظيـم . وصلى الله وسلم على رسـل الله أجمعين ..

فهـــرس المجـــلة

الموضـــوع	صفحة
١ ــ وصف الربيع للبحترى بين الطريقتين التقليدية والتأثرية فى النقـــد •• بقلم د• على محمـــدين	١
٢ ــ أســـامة بن منقـــذ ناقـــداً •• د• محمـــود جمعـــة	١٧
٣ ــ الأمثـــال فى السنة النبـــوية د• عبد القادر رزق الطويل	٦٥
٤ ــ الفكر النحوى فى كتابه « مذاهب التفسير الاسلامى » د• مبروك عطية أحمد أبو زيد	١٣٧
٥ ــ المقاييس البديعيـــة والبيانية بين أبى القاســـم الأمدى والقـــاضى الجرجانى •• د• محمـــد الأمـــين	٢٢١
٦ ــ القصـــة جنســـا أدبيـــاً د• صالح ربيعى عـــزب	٢٩١
٧ ــ تأملات فى ســـورة الســـجدة دكتور أحمد محمد على	٣٣١

رقم الايداع
٩٣ / ٦٢٣١

* مطبعة زهران *
٤ ش حمام المصبغة ـ الأزهر
١٦ ش الدرديرى ـ الأزهر
ت : ٥١٠٧٥٥٤